المحاضرة التاسعة حول:

الطرق الصوفية في العهد العثماني

01/- أهم الطرق الصوفية في العهد العثماني:

1-1- الطريقة القادرية:

لقد انتشرت الطريقة القادرية كطريقة صوفية خلال القرن السادس عشر ميلادي رغم أن تطورها الحقيقي يرجع لبداية القرن19م(عمار هلال،الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية،ص108). تأسست القادرية في القرن الثاني عشر ومؤسسها هو عبد القادر بن موسى بن عاد الله الحسني أبو محمد محي الدين الجيلاني أو الكيلاني1078م-1166م(أحمد مريوش،مرجع سابق،ص98).

ولد الجيلاني في جبل أوجلاني،قريبا من بغداد ويعتبر من كبار الزهاد والمتصوفة، فيعد من أعلام التصوف وبرز في أساليب الوعظ والإرشاد وخدم الطريقة حتى خرج صداها إلى بلاد آسيا.والطريقة القادرية قد وصلت إلى الجزائر خلال القرن15م، وقد كان قطب التصوف وفق الطريقة القادرية في الجزائر ومن تولى نشر مبادئها: الشيخ سيدي شعيب بومدين في مدينة بجاية خلال زيارته للمشرق الإسلامي، وهناك تعرف في رحلته على الشيخ عبد القادر الجيلاني فأخذ عليه كثيرا من علوم الحديث وأودعه كثيرا من أسراره وحلاه بملابس أنواره، ثم توسعت الطريقة القادرية في الجزائر إلى أن

وصلت إلى زاوية كنتا بأدرار بالجنوب الغربي من الجزائر(المرجع السابق،ص99).

لم يصل إلى حد بناء زوايا خاصة بالطريقة في الجزائر إلا في عهد الشيخ مصطفى الغريسي وهو جد الأمير عبد القادر والذي قام ببناء أول زاوية في الجزائر سنة1200ه-1786م وقد أصبحت تعرف باسم زاوية القيطنة(قرية صغيرة في وادي الحمام، قرب مدينة معسكر).

ومما لا شك فيه أن مبادئ القادرية انتشرت إلى حد كبير بين الجزائريين وأصبح ذكر سيدي عبد القادر الجيلاني على أشده، وقد كانت لها أربع فروع في الجزائر وهي منتشرة في كل قطر من أقطار الجزائر، وقد بلغت 33زاوية،521 طالبا وأربعة شيوخ و301 مقدما و21056أخوانيا و2695خونية (أبو القاسم سعد الله،مرجع سابق،ص294)،

أما عن العلاقة بين العثمانيين والزاوية القادرية فقد كانت ودية في بادئ الأمر فقد وصل الأمر بأحد بايات وهران إلى بناء مسجد، وأسهم أيضا في أوقافه ولكن نقمتهم العامة على زعماء الطرق الصوفية قد شملت أيضا زعيم الطريقة القادرية.

1-2- الطريقة الرحمانية:

تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمان الأزهري الجرجـري، الملقـب ببوقبرين، من قريـة آيـت إسـماعيل بـبلاد القبائـل، بـدأ دراسـته بزاويـة الشـيخ الصـديق بـن أعـراب بآيـت إيـراثن ثـم عمـق دراسـته فـي الجزائـر العاصـمة سنة1739م، ثم حج الى البقاع المقدسـة ومكـث فيـه الأزهـر الشـريف ومـن أساتذته سالم الغفراوي وعامر الفحلاوي وحسن الجدي والشيخ العمروسي.

وقد رجع إلى الجزائر سنة1770م، ونشر تعاليم طريقتـه(الخلوتيـة) التـي أخذها من مصر والهند والسودان(شيخ لعرج،مرجع سابق،ص51)، كمـا تلقـى تعـاليم الطريقـة الخلوتيـة علـى يـد محمـد بـن سـالم الحفنـاوي(أحمـد مريوش،ص101)، وبعد أكثر من ثلاثين سنة من بعد غيابـه عـن الجزائـر أخـذ فـي نشـر طريقتـه وهـذا بـأمر مـن شـيخه الحفنـاوي فـي بـلاد القبائـل ومـا جاورها،لكن نشاطه أقلق وضايق الإدارة العثمانية وأعوانها.

وقد تحقق هدفهم بعد أن أنشأ المجلس برئاسة الحاج علـي عبـد القـادر ابن الأمين المفتي المالكي، فتـوى مفادهـا أن دروس الشـيخ مخالفـة للسـنة النبويـة الشـريفة واتهمـه بالزندقـة والانحـراف(عمـار هـلال، مرجـع

سابق،ص112)، والظاهر أن هذه الفتوى لم تجد صداها عنا إتباع ومريدي الطريقة الرحمانية؛ مما دفعه للعودة إلى مسقط آيت اسماعيل.

وانتشرت الطريقة الرحمانية في كل منطقة بالجزائر، بل وتعدى انتشارها إلى خارج الجزائر حتى وصلت إلى تونس وخاصة في منطقة الجريد،وكان لزاوية الأزهري دور كبير وهام في نشر تعاليم الطريقة الرحمانية.

1-3- الطريقة الدرقاوية:

هي طريقة دينية صوفية وكل المصادر تشير إلى أن أصل الدرقاوية هو الشاذلية، وقد ظهرت في المغرب الأقصى، كما ظهرت طرق صوفية أخرى قبلها وتنسب إلى مؤسسها الشيخ العربي بن أحمد الحسين بن محمد بن يوسف الملقب:" أبو درقاوة " المولود 1150هـ-1737م بقبيلة بني زروال بضواحي مراكش بالمغرب الأقصى والدرقاوي نسبة الى قبيلة درقة التي منها جده يوسف أبو درقة، تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن الجمال الفاسي وكان معروفا بالاستقامة والزهد والتقوى (أبو القاسم سعد الله،ص578).

أسس زاويته في بوبريج ولتف حوله الكثير من الناس وحققت طريقته انتشارا واسعا في المغرب الأقصى ووصلت إلى غاية الغرب الجزائري بانتشارها في كل من وهران، تلمسان،مستغانم وتيارت، توفي الشيخ

الـدرقاوي سـنة1223هــ-1808م بزاويتـه "بـوبريج"(شـيخ لعربـي،مرجـع سابق،ص54). ولقد قام الدرقاويين بمقاومـة شرسـة وقويـة ضـد العثمـانيين حتـى صـار تعبيـر "عاصـي" يـوازي تعبيـر درقـاوي(أحمـد مريـوش،ص116) وبالرغم من كونها طريقة دينية إلا أنها بدأت تأخذ منحى العمل التحريضي من اجل التمرد على السلطة و العصيان لإضعاف الحكم.

1-3- الطريقة التيجانية:

لقد شهدت فترة أواخر القرن الثاني عشر الهجري"الثامن عشر المـيلادي" طريقة صوفية جديدة أضيفت للطرق الصوفية الأخرى التي كانت فـي الجزائـر خاصة أواخر العهد العثماني وهي الطريقة التيجانيـة وعرفـت انتشـارا واسـعا وتكاثر زواياها بشكل كبير وملفت للنظر ، رغم بعض الصعوبات التي واجهتهـا وخاصة في بداية ظهورها ولكن رغـم ذلـك اسـتطاعت أن تثبـت قـدرتها إلـى البقاء والصمود أمام طرق أخرى، وتعتبر هذه الطريقة الأولـى التـي تجـاوزت حدودها الجغرافية الجزائرية وعرفت انتشارا عالميا.

ومؤسس هذه الطريقة هو الشيخ المربـي الصـوفي الكبيـر أبـو العبـاس أحمد بن محمد –فتحا- بن المختار بن أحمد بن محمد-فتحا- بن سـالم يرتفـع

نسبه إلى محمد النفس الزكية، و أمه عائشة بنت أبي عبد الله محمد السنوسي التيجاني الماضوي نسبة إلى قرية عين ماضي، و هي تبعد سبعين كيلومترا بالجنوب الشرقي من بلدة الأغواط جنوب الجزائر و التيجاني نسبة إلى قبيلة التواجنة بني توجين عشيرة اخواله و بهذه النسبة اشتهر اسمه احمد التيجاني(عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ص273).

وميزة تنفرد بها الطريقة التيجانية مقارنة بالطرق الصوفية المتأخرة أن بعض أنصارها ومريدوها كانوا في طليعة العلماء المشهورين وخيرتهم(ناصر الدين سعيدون،ص185)، ويذهب البعض الى أن الأهمية الكبرى التي اكتسبتها الطريقة التيجانية ترجع كونها طريقة مؤسسة من الكتاب والسنة(صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي،ص176) ولعلى أن هذه الخصائص هي التي حققت لها تلك المكانة العالمية، زيادة على ما كان يتمتع به التيجاني من خصال قربت الناس منه أكثر فزادت من الالتفاف حوله منذ ظهور طريقته إلى الوجود(شيخ لعرج،ص78).

قائمة المراجع المعتمدة في المحاضرة:

01/- عمار هلال،الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية،المرجع السابق.

02/- أحمد مريوش،مرجع سابق.

03/- أبو القاسم سعد الله،مرجع سابق.

04/- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،المرجع السابق.

05/- ناصر الدين سعيدون،المرجع السابق.